



مركز رواق بغداد للسياسات العامة

النجف والفاطيكان

تراث قديم وروح جديدة

على هامش الزيارة التاريخية للحبر الأعظم
البابا فرنسيس إلى العراق في آذار - 2021

مجموعة من المؤلفين

إعداد وتقديم: عدنان عبد الحسين



REWAQ BAGHDAD
center for public policy

info@rewaqbaghdad.org
Sarah@rewaqbaghdad.org
dar@rewaqbaghdad.org

0783 577 4081
0773 347 8330



التشـر والتوزيـع
مركز رواق بغداد للسياسات العامة
العرصات فرع دار الشرقية للساعات

عنوان الكتاب: النجف والفا تيكان تراثٌ قديم وروح جديدة
المؤلف: نخبة من الأكاديميين والمحللين السياسيين
الطبعة الأولى - 2023
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (478) لسنة 2023

تم تمويل نشر هذه المادة من قبل مركز رواق بغداد للسياسات العامة.
جميع الحقوق محفوظة لدار ومكتبة الرواق للنشر والتوزيع

يمنع نسخ أو استعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية
أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

Legal Note:

Publishing this material has been funded by Rewaq Baghdad Center of Public Policy;
however the views expressed in this document do not reflect the Center's official policies
nor its opinions.

isbn, 978-9922-8545-1-9

العراق بلد الحضارات

عدنان عبد الحسين

في الوقت الذي كنت اتحدث فيه مع زملاء عن النية في كتابة كتاب عن زيارة بابا الفاتيكان للعراق، تطرقنا الى المواضيع التي سيتناولها الكتاب ومن هم الكتّاب الذين سيعهد اليهم بكتابة مواضيعه، ورغم الصعوبات التي اعترضت إتمام الكتاب الا ان الأساتذة الافضل قد انجزوا ما طُلب منهم بكل حرفة وموضوعية، بعدها كنت متحيراً بماذا اقدم هذا الكتاب فلم اشعر الا انني ابتدأت بالكتابة عن العراق وحضارته،

اشتهر العراق منذ آلاف السنين بموقعه الجغرافي المتميز، وبتربته الخصبة وارضه الغرينية حتى قال فيه هيرودتس في تاريخه الشهير⁽¹⁾ «وتنمو عندهم الزروع جدا حتى لا تضاهيها ارض مخصصة بكل اقطار العالم فان الحبوب تعطي مثتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف وتعوض عن العنب والزيتون والتين التي لا تصح زراعتها بتلك التربة بعكس الحبوب وورق الشعير بعض اربع أصابع اما الذرة والسّمسم فلا اذكر عظم خصبهما ونمو جذوعهما لأنني اعلم يقيناً ان كل من لا يعرف تلك الأقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرهما».

تكون العراق القديم في الأرض التي تكونت من غرين دجلة والفرات، وقد سماها اليونانيون «ميسوبوتاميا» وورد ذكرها في التوراة باسم

(1) نقلا عن عبد الرزاق الحسيني في كتابه (العراق قديما وحديثا) ص12.

شنعار، ولم يكن للعراق وجود قبل العام 5000 ق.م كما هي اليوم من حيث الوضع الجغرافي لان مياه الخليج العربي كانت تغمر يومئذ مدن المحمرة والبصرة والقرنة وغيرها، كما ان نهري دجلة والفرات العظيمين كانا يصبان في الخليج مباشرة دون ان يلتقيا.

ويبدو ان أحد الأسباب التي جعلت الكتاب والباحثين والمهتمين بالشأن العراقي يعتبرون ان العراق متميز في موقعه، هو العدد الهائل من الاقوام والاعراق التي حكمت وتصارعت واستقرت فيه، فأول الشعوب التي سكنت العراق كانوا السومريون (4500 ق.م - 2300 ق.م)، اذ سكنوا جنوب بلاد الرافدين، وشيدوا مدنهم الكبرى كأور ونيبور ولارسا ولجش وكولاب وكيش وإيسن وإريدو واداب، وحفروا الترع ومهدوا طرق الزراعة. وفي ذات الفترة كان هنالك شعب آخر يسكن وادي الرافدين هم الاكديون وهم من القبائل السامية، اذ استقروا في منتصف بلاد الرافدين، حيث اقاموا المدن الكبيرة أيضا، كبورسيبا ونفر، كما انتقل الى العراق العيلاميون (2300 ق.م - 1800 ق.م)، الذين كانوا في البدء يسكنون الاهواز وإيلام في إيران، وفي هذه الفترة من الزمن نزح العموريين وهم احدى القبائل السامية التي كانت تسكن بجوار البحر الأبيض المتوسط منذ القديم، اخذت تهبط الى غرب الفرات وسكنوا البادية، حتى استقروا في بابل واسسوا مملكة عظيمة دُعيت بالمملكة البابلية.

وكان حمورابي الملك السادس للدولة البابلية، أعظم ملك عرفه تاريخ تلك الحقبة، اذ وحد الشرائع ونظمها وهذب القوانين وشرّعها وشيد المعابد واسس المدارس وحفر الأنهر وشق الترع وقام بأعمال خَلَّدت ذكره في بطون التاريخ.

ثم وصلت النوبة الى الحثيين الذين نزحوا من بلاد الاناضول الى وادي الفرات واستولوا على بابل، ومكثوا فيها قرابة المائة عام. وكان من بين الحثيون قوم من الآريين يعرفون باسم الكوشيين هاجروا الى الشمال الشرقي من العراق واسسوا لهم دولة فيما يعرف الان بعرققوف ودامت دولتهم قرابة (577) عاماً. حتى وصل الامر الى الاشوريين (1300 ق.م - 606 ق.م)، وهم اقوام سامية وكانوا جزء من الاكديين، نزلوا شمال بلاد وادي الرافدين، وبحلول منتصف القرن الثامن قبل الميلاد امتد سلطانهم الى بابل وسورية ومعظم البلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ليصل الامر الى الكلدانيين (606 ق.م - 539 ق.م) وهم احدى القبائل السامية الرحالة زحفت ببطء نحو الخليج العربي وصولاً الى سهل بابل، اذ اتخذوا منها عاصمة لهم ومن ثم بسطوا نفوذهم الى شمال العراق. بالإضافة الى الفرس ودولتهم الكيانيين، واليونانيين ودولتهم السلوقية، والفريثيين الذين بنو مدينة ضخمة على الضفة اليسرى من دجلة قبالة سلوقية اسموها (طيسفون) المعروفة بالمداين اليوم. لينتهي الامر الى الدولة الإسلامية التي بسطت نفوذها على العراق وانتزعت من الدولة الساسانية عام 636هـ.

من هذا الخليط المتجانس وغير المتجانس تشكل الشعب العراقي في حدود الدولة العراقية الحالية، فهو متعدد الأعراق والقوميات كما مر، ومتعدد الأديان، هو بلد الحضارات العريقة، وبلد التعايش الديني والمذهبي والقومي رغم كل ما جرى ويجري فانه يكاد يكون ضمن السياق الطبيعي الذي لا تشذ عنه دولة ذات اعراق واجناس واديان ومذاهب متعددة.

مدينة النجف

من هذا الإرث الكبير لهذا البلد العريق، شخّصت مدينة عريقة تمتد الى عمق التاريخ، تُعرف الان بالنجف، وتاريخيا توصف بانها الظهر المتصل بالكوفة والحيرة والمنتهي الى الأرض المنخفضة، وكانت هذه المدينة تمثل احد اضلاع المثلث الحضاري الفكري لتلك المنطقة مع مدينة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، وهي كما يُروى مهبط الأنبياء والصالحين، ففيها ثوى آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام، ودار هجرة الأنبياء عليهم السلام، عليها استوت سفينة نوح، ومنها تفرقت أولاد نوح، وبها كان منزل إبراهيم الخليل واليها كانت هجرته، وفي أيام التتوخييين واللتخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم قد اخذت بنصيب وافر من الحضارة والعمران، كانت النجف معمورة وكانت الحضارة قائمة بها على أسس عربية لقربها من الحيرة ومجاورتها لها، فالنجف عربية قبل كل شيء وأهلها في ذلك العهد عند شيوع النصرانية، نصارى نسطورية وهم من العرب الاقحاح ولم تزل بعض الاديرة موجودة فيه حتى انتشار الإسلام وعلو شوكته، منها ما هو في النجف ومنها ما هو مشرف عليها كدير مارت مريم وهو دير قديم مشرف على النجف، ودير الاسكول وهو بالحيرة مشرف على النجف، ودير هند قرب من خندق الكوفة، نزل فيه أبو طاهر القرمطي حينما جاء الى الكوفة ونزلت مقدمة جيشه النجف، وهناك اديرة أُخر بين النجف والحيرة⁽¹⁾، ولها عدة أسماء منها ما ورد في اخبار أئمة اهل البيت عليهم السلام، وهي الطور، والظهر، والجودي، والربوة، ووادي السلام، وبانقيا، كما لها أسماء أخرى وردت بلسان الائمة عليهم السلام وغيرهم، وهي اكثر استعمالا، كالنجف والغري والمشهد، وهي

(1) جعفر الشيخ آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، دار الأضواء، ط2، ص17.

عند المسلمين وبالخصوص الشيعة منهم لها قدسية كبيرة في انفسهم ولمن زارها شرف عظيم ، اذ وردت في شرفها وفضلها روايات عن أئمة اهل البيت عليهم السلام ، فيروى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال اول بقعة عُبد الله عليها ظهر الكوفة لَمَّا امر الله الملائكة ان يسجدوا لآدم فسجدوا على ظهر الكوفة، وورد عن بعض الائمة انه ما مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا قيل لروحه إلهي بوادي السلام، قيل له اين وادي السلام؟ قال هو ظهر الكوفة. وزادت أهمية وشرف مدينة الكوفة في العصر الإسلامي، عند المسلمين عامة وعند الشيعة خاصة كونها أصبحت عاصمة المسلمين في زمن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الامام علي بن ابي طالب، خليفة المسلمين وابن عم الرسول وصهره زوج ابنته، انتقل اليها عندما بايعه المسلمون بالخلافة عام (36) للهجرة النبوية، لذا هي قبلة المسلمين ومهوى افئدتهم وهي حوزة علم اتباعه من الشيعة منذ انتقل اليها والى يومنا هذا، اما مدينة النجف فانها اكتسبت أهميتها وقدسيتها نتيجة الاخبار الواردة عن أئمة اهل البيت، وما عضد من ذلك وزاد عليه انها تشرفت بضم جثمان الامام علي عليه السلام، عندما استشهد سنة (40 هـ)، اذ صار الناس يقصدونها للعيش فيها وخصوصا أولئك المسلمين من اتباع ومحبي الامام علي، حتى وصل الامر الى الشيخ الطوسي⁽¹⁾، والذي على يده تم تأسيس الحوزة العلمية في هذه المدينة كما ينقل المؤرخون، اذ انتقل اليها عام (448 هـ)، وهي جامعة النجف العظمى التي شيد الشيخ ركنها الاساسي ووضع حجرها الأول، اذ حُرِّجَت خلال هذه الفترة الزمنية الآلاف من أساطين الدين وأعظم الفقهاء، وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين، وأفاضل المفسرين واجلاء اللغويين، وغيرهم ممن خبروا العلوم الاسلامية بأنواعها وبرعا

(1) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (385 – 460) هجري قمري.

فيها أيما براعة، وليس أدل على ذلك من آثارهم المهمة التي هي في طليعة التراث الاسلامي ولم تزل زاهية حتى هذا اليوم، يرتحل اليها رواد العلوم والمعارف من سائر الاقطار والقارات فيرتوون من مناهلها العذبة وعيونها الصافية، وهذه الجامعة هي رائدة الإصلاح، منها ظهرت مبادرات الإصلاح وعلى يد علماءها الاجلاء، كالشيخ المرزا النائيني مؤلف كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، الذي كتبه اثناء الجدل المحتدم ما بين دعاة المشروطة ودعاة المستبدة، والشيخ كاشف الغطاء ونقده للأصول التي استند اليها محمد عبد الوهاب وتفنيد آرائه التي أراد تطبيقها بقوة السلاح، وتكلم عنها المؤرخ الشاعر الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية)، ومبادرات الشيخ العلامة المظفر ودعوته لتأسيس منتدى النشر والشروع ببناء كلية الفقه، والسيد محمد تقي الحكيم وكتابه المهم (الأصول العامة للفقه المقارن)، والسيد محمد باقر الصدر في نتاجاته الفكرية المتميزة، والعديد غيرهم من رواد الإصلاح والدعوة اليه، واننا اذ نكتفي بهذه الأمثلة رعاية للاختصار ولئلا يطول المقام في ذكر أسمائهم ومشاريحهم، وهذا مما يدل وبشكل قاطع على عراقية واثرة هذه الحوزة في صناعة الفكر والمفكرين والمصلحين على مر تاريخها.

تميزت الطائفة الامامية الاثنا عشرية بفتح باب الاجتهاد على مر العصور وتعاقب الدهور وعلى ذلك جرى علماءؤها، وهم لا يريدون بالاجتهاد التوسع على حساب الحكم الشرعي بما يلائم مستجدات العصر وتطور الزمن او إرضاء لعامة الناس او للحكام والمتسلطين وغيرهم من اهل النفوذ، بل الاجتهاد عندهم هو بذل الجهد لمعرفة الحكم الشرعي من منابعه الاصلية. كما تميزت الطائفة بالتقليد، الذي هو عبارة عن رجوع عامة الناس الذين لا معرفة لهم بالأحكام الشرعية في اعمالهم للمجتهد المأمون على الحكم الشرعي الذي لا يفرط في البحث والفحص، لذا

تراهم يكونون لعلمائهم عامة ولمن يقلدونه خاصة من الاحترام والتقدير والتعظيم والتبجيل الشي الكثير⁽¹⁾.

بدأ الكيان المرجعي للإمامية في بغداد، وكان المرجع الأول هو الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (336 - 413 هـ)، وخلفه على المرجعية السيد المرتضى (ت 436 هـ)، ثم خلفه الشيخ الطوسي، الذي انتقل بسبب فتنة السلاجقة الى النجف كما اشرنا سابقا، اذ بدأ حياة جديدة في الدرس والتدريس حتى أصبحت النجف حاضرة المرجعية العليا حتى اليوم، انجبت جامعة النجف الدينية (الحوزة العلمية) عدد كبير من العلماء والمتعلمين، وتناوب على قيادة حوزتها، علماء كبار على مر الزمن منذ تأسيسها ولغاية يومنا هذا⁽²⁾، اذ هنالك نظام دقيق يتم عن طريقه تسلم قيادة الشيعة دينيا وروحيا، فضلا عن ادارة الحوزة العلمية، اذ جرى العرف على اعتماد آراء العلماء الكبار المشتغلين في الدرس والتدريس في اختيار مرجع الطائفة عندما يتوفى المرجع الأعلى، اذ يشهدون له بالاجتهاد والاعلمية وبالورع والتقوى والاستقامة على جادة الشريعة المقدسة، وهذا النظام مطبق عند الشيعة منذ اكثر من الف سنة، وهكذا الى ان انتهت الزعامة الدينية الى المرجع الأعلى للطائفة السيد علي الحسيني السيستاني، ولد سماحته في التاسع من شهر ربيع الأول عام 1349 للهجرة، في مدينة مشهد الايرانية في أسرة علمية معروفة، وقد نشأ سماحته نشأة عالية فتدرج في الأوليات والمقدمات، حيث بدأ وهو في الخامسة من عمره بتعلم القرآن الكريم ثم دخل مدرسة دار التعليم الديني لتعلم القراءة والكتابة ونحوهما، فتخرج من هذه المدرسة وقد تعلم أثناء ذلك فن الخط، ثم درس العلوم الدينية بالطريقة المعروفة في الحوزات العلمية الدينية في المدن الدينية فيما

(1) السيد محمد سعيد الحكيم، المرجعية الدينية وقضايا أخرى، ص 11.

(2) د. محمد حسين علي الصغير، المرجعية الدينية العليا في النجف الاشراف مسيرة الف عام، ص 10.

يُعرف بالمقدمات والسطوح والبحث الخارج، انتقل بعدها وفي أواخر 1368 هـ انتقل الى مدينة قم في ايران لإكمال دراسته الدينية، وفي أوائل عام 1371 هـ غادر سماحته مدينة قم متجهاً إلى موئل العلم والفضل للحوزات العلمية النجف الأشرف، فوصل كربلاء المقدسة في ذكرى أربعين الامام الحسين عليه السلام ثمّ توجه إلى النجف الأشرف، وحضر البحوث الفقهية والاصولية للعلمين الكبيرين السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي مرجع الطائفة الشيعية (1899 - 1992) والشيخ حسين الحلي ولازمهما مدةً طويلة، وحضر خلال ذلك أيضاً بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم السيد الحكيم (1889 - 1970) مرجع الطائفة الشيعية في وقته، والسيد الشاهرودي، ومنح شهادة الاجتهاد المطلق وهو في الحادية والثلاثين من عمره من قبل استاذيه السيد الخوئي والشيخ الحلي ولم يمنح السيد الخوئي شهادة الاجتهاد إلاّ لنادرٍ من تلامذته، كما لم يمنح الشيخ الحلي اجازة الاجتهاد المطلق لغيره، يمتلك سماحة المرجع الأعلى شخصية فذة تتمتع بالخصائص الروحية والمثالية، كالإنصاف واحترام الرأي الآخر والادب في الحوار، وهو الأب والأستاذ المربي بأخلاقه وسلوكه، عاصر المرجع الأعلى النظام البعثي الذي كان يسعى بكل وسيلة للقضاء على الحوزة العلمية في النجف الأشرف منذ السنين الأولى من تسلمه السلطة في العراق، وقد قام بعمليات تسفير واسعة للعلماء والفضلاء وسائر الطلاب غير العراقيين، ولاقى عناءاً بالغاً من جراء ذلك وكاد ان يُسْفَر عدّة مرّات، وقد تمّ تسفير مجاميع من تلامذته، ثمّ كانت الظروف القاسية جدّاً أيام الحرب العراقية الإيرانية، ولكن على الرغم من ذلك فقد أصرّ على البقاء في النجف الأشرف وواصل التدريس في حوزته العلمية إيماناً منه بلزوم استمرار المسار الحوزوي المستقل عن الحكومات تفادياً للسلبات التي تنجم عن تغيير هذا المسار.

وفي عام 1991 عندما قضى النظام البعثي على الانتفاضة الشعبانية اعتقل السيد المرجع ومعه مجموعة من العلماء كالشهيد الشيخ مرتضى البروجردي والشهيد الميرزا علي الغروي وقد تعرّضوا للضرب والاستجواب القاسي في فندق السلام وفي معسكر الرزاة وفي معتقل الرضوانية. وفي عام 1992 توفي مرجع الطائفة الشيعية السيد الخوئي تصدّي السيد المرجع للمرجعية - ولم يتوقف النظام البعثي عن التصييق على المرجع وتشويه سمعته، ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل لذا خطّط لاغتياله وتصفيته، وقد كشفت وثائق جهاز المخابرات عن عدد من هذه المخططات ولكن مكروا ومكر الله والله خير الماكرين، كما روى لي حفيده وبعض العاملين في مكتبه عن بعض هذه المحاولات. وهكذا بقي السيد المرجع رهين داره منذ أواخر 1998 وحتى سقوط النظام البعثي في 2003.

وإزاء هذا العمق وإنشداداً لهذه الروح العظيمة لمدينة النجف الاشرف ولساكنها الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، كانت ملتقى اتباع الطائفة الشيعية ومهوى افئدتهم ومهبط ترحالهم ومأواهم النهائي، كنا نسمع ونقرأ عن سادة وزعماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وكنا نتردد على مكاتب العلماء ومراجع الطائفة بين الفينة والأخرى إبان حكم النظام السابق، وبعد 2003 عاصرنا التغيير الذي حصل في العراق وما عصف به من احداث، وكنا مراقبين للدور الكبير الذي يلعبه سيد النجف، من حيث طريقة التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية، او محافظته على دماء الناس وضرورة ان يأخذ القضاء مجراه وان لا يترك الامر للناس لتصفية حساباتهم فيما بينهم بعيدا عن سلطة القضاء، وكان يفاجئنا كثيرا بما يصدره من توجيهات لم يكن احد يتوقعها رغم ما ألمّ باتباعه ومحبيه من

اذى سببه النظام السابق وازلامه، فلم يجيز الاقتصاص بلا محاكمة عادلة، ومنع طلبة العلوم الدينية من الانخراط في العمل السياسي والتنفيذي، ولم يعترف بقانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية كونه لم يكتب بأيدٍ عراقية، واشترط ان يكتب الدستور العراقي بأيدٍ عراقية ومن قبل هيئة منتخبة من الشعب العراقي اذ اصدر فتواه الدستورية الشهيرة التي أسست لبناء الدولة العراقية الحديثة وفق نظام يعتمد التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع⁽¹⁾، وحث العراقيين على الاشتراك في الانتخابات لتقرير مصيرهم بأيديهم، وعلى احترام القانون والحفاظ على المال العام، وعدم الثأر والانتقام، ورفض جميع الضغوط التي مورست عليه لثنيه عن هذا الرأي، وعندما حصل الاقتتال الطائفي لم يجز ولم يسمح بان ينجر الناس للاقتتال الطائفي، وحكم بعدم جواز مخالفة قوانين الدولة وضرورة احترامها، وفي ظل هذا الانبهار والترقب لكل ما يصدر عن سيد النجف، كنا دائمي المراجعة لمكتبه وكنا نشاهد ونسمع كيف كان يحرص على حرمة الدم العراقي وضرورة ان يعيش جميع العراقيين متحابين في بلد واحد يحتضن جميع ابناءه دون تمييز او تهميش، اذ اصدر مكتبه بيان يدين فيه تعرض الكنائس للتفجيرات الإرهابية، مؤكداً على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الاقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسلام⁽²⁾، وكان كل هم سيد النجف، ان يُحكم العراق من ابناءه وان يعمر الامن والأمان ربوع العراق بأكمله في ظل مبادئ الدستور والقوانين النافذة وصولاً الى إرساء دعائم دولة مدنية

(1) للاطلاع كامل البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.

<https://www.sistani.org/arabic/archive/273/>

(2) للاطلاع كامل البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.

<https://www.sistani.org/arabic/statement/1480/>

قائمة على مؤسسات دستورية تُحترم فيها الحقوق والواجبات وتُصان فيها عقائد الناس وحرّياتهم ويكفل فيها رفاه وكرامة المواطنين، وظل مستمرا على دوره في حماية الدين والدولة، حماية الدين من ان يتدخل فيما لا يعنيه، ونصح القائمين على شؤون الدولة من ان تنحرف عن مسارها الذي يطمح الناس اليه، من تقديم الخدمات وتوفير الامن وتحقيق العدالة الاجتماعية وكفالة عيش الناس بأمن وهدوء وسكينة، كما ان سماحته في رسالته الجوابية للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بخصوص دعوته لعقد لقاء لعلماء الدين العراقيين في مكة، اكد انه لا يوجد في العراق صراع طائفي بين ابناءه من الشيعة والسنة، بل توجد أزمة سياسية وهناك من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب معينة، ويضاف الى ذلك ممارسات التكفيريين الذين يسعون في تأجيج الصراع بين مختلف الاطراف خدمة لمشروعهم المعروف⁽¹⁾.

وكان دوره الكبير في انقاذ العراق من الهجمة الشرسة من قبل التنظيمات الإرهابية التي اسقطت مدن الموصل والانبار وأجزاء كبيرة من صلاح الدين وديالى، وقاتل الارهابيون على مشارف بغداد لولا فتواه العظيمة، فتوى الجهاد الكفائي⁽²⁾، التي اعادت للقوات الأمنية وللناس روحهم المعنوية، فهدم المواطنون للدفاع عن وطنهم، من خلال الانخراط بالمؤسسات الأمنية، لتحرير الأرض وكسر شوكة الإرهاب الداعشي، اذ حرروا المدن التي احتلها تنظيم داعش الإرهابي، وفي خضم الازمة التي عاشها العراق نتيجة القتل والسبي والتشريد لكل فئات المجتمع العراقي، وجه سيد

(1) للاطلاع على البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.

[/https://www.sistani.org/arabic/statement/1503](https://www.sistani.org/arabic/statement/1503)

(2) لمزيد من الاطلاع زيارة الروابط ادناه. [/https://www.sistani.org/arabic/archive/24918](https://www.sistani.org/arabic/archive/24918)

[/https://www.sistani.org/arabic/archive/25582](https://www.sistani.org/arabic/archive/25582)

النجف جميع العراقيين ان يمدوا يد العون والمساعدة بكافة صنوفها من مأكّل وملبس ودواء وسكن للنازحين وبغض النظر عن دينهم او طائفهم او قوميتهم .

ان سيد النجف كان مؤثرا وفاعلا بشكل كبير جدا في العراق ما بعد 2003 وعلى مختلف الصُعد، الروحي والإنساني والسياسي، اذ كان له دور محوري وكبير في تأسيس الدولة العراقية بعد 2003 كما ذكرنا، ولولاها لما كان للعراق وجود بعد احداث الهجمة الشرسة للتنظيمات الإرهابية، وبفضله استقر العراق وبات ينعم بالأمان، الى المستوى الذي يسمح لبابا الفاتيكان بزيارة العراق.

بابا الفاتيكان فرانسيس في العراق

الفاتيكان مقر سكن الحبر الكاثوليكي، وهو رأس الكنيسة المنظور، اذ تتألف الكنيسة من أولئك الذين تلقوا المعمودية، وحملوا الايمان بالمسيح واعتنقوا ذات التعاليم وذات القبول بكلمة الرب، واعترفوا بالطقوس القربانية المقدسة السبعة وتقبلوها كنعم الالهية وقبلوا خدمة خلفاء القديس بطرس والرسل، وللكنيسة أربع علامات أساسية: فهي واحدة من خلال الحبر الأعظم، ومقدسة نسبة الى قدسية مؤسسها، وكاثوليكية لأنها وجدت لصالح البشرية جمعاء، ورسولية نسبة لمؤسسها.

تملك الكنيسة السلطات الروحية، وتمنحها الى البابا والأساقفة والقساوسة كسلطة التعليم والحكم وأداء الطقوس القربانية، ليتمكنوا من خدمة إخوتهم واخواتهم، والكنيسة كمؤمنة بتعاليم الانجيل، تسعى لتحقيق رسالة الأخوة والمساواة والعدل والسلام. كما ان التعاليم البابوية التي تكفل الايمان العام، تُبلَّغ في محاضرات وكتب ورسائل.

يتمتع بابا الفاتيكان بسلطة تشريع القوانين الرسولية، وبالسلطة القضائية والتنفيذية الإدارية على الكنيسة. ولخليفة بطرس عدة القاب، كالحبر الكاثوليكي الروماني، والبابا، والحبر الأعظم، ونائب المسيح، والأب المقدس، وصاحب القداسة، وخادم خدام الرب⁽¹⁾.

البابا فرانسيس هو البابا رقم (266) على سدة البطرسية للكنيسة الكاثوليكية، اسمه بالميلاد خورخي ماريو بيرغوليو، انتخب بابا للفاتيكان في 2013، وهو أرجنتيني الجنسية، ولد في بوينس آيرس في 17 ديسمبر 1936، لأب مهاجر إيطالي، كان والده ماريو محاسباً يعمل في السكك الحديدية وكانت والدته ريجينا سيفوري زوجة ملتزمة مكرسة لتربية أطفالهما الخمسة. تخرج تقنياً كيميائياً ثم اختار طريق الكهنوت، ودخل مدرسة الأبرشية في فيلا ديفوتو. في 11 آذار (مارس) 1958، التحق بالابتدائية في جمعية يسوع، أكمل دراساته في العلوم الإنسانية في ششيلي وعاد إلى الأرجنتين في عام 1963 للتخرج بدرجة الفلسفة من Co-legio de San José في سان ميغيل. من عام 1964 إلى عام 1965 قام بتدريس الأدب وعلم النفس في كلية (Immaculate Conception) في سانتا في، وفي عام 1966 قام بتدريس نفس الموضوع في Colegio del Salvatore في بوينس آيرس، ومن 1967 إلى 1970 درس اللاهوت وحصل على شهادة من Colegio of San José⁽²⁾.

هو اول بابا من خارج اوربا منذ عهد البابا غوريغوريوس الثالث، يُعرف عن هذا البابا انه ترك حياة الترف واختار حياة الزهد وبدا بالدعوة الى مساعدة

(1) عربيه عن الإنكليزية، محمد جميل القصاص، الفاتيكان وروما المسيحية، ص11-13.

(2) السيرة الذاتية للبابا من موقع الكرسي الرسولي.

<https://www.vatican.va/content/francesco/en/biography/documents/papa-francesco-biografia-bergoglio.html>

الفقراء ونادى بإعادة بناء الكنيسة، عُرف بالتواضع والبساطة والبُعد عن التكلفة في التقاليد، كما ألقى الكثير من التقاليد البابوية، فرفض الإقامة بالقصر الرسولي، واقام في بيت صغير لاستقبال ضيوف الفاتيكان، واحتفظ بالصليب الحديدي ورفض استبداله بالصليب الذهبي، كما ان خطاب البابا اتسم بعناية عالية تجاه الفقراء والمهمشين والمتعبدن، فهو الآتي من إرث لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، وحامل فلسفة الرهبنة اليسوعية القائمة على التبشير.

وكانت رحلة البابا الى العراق هي الأولى خارج الفاتيكان منذ تفشي وباء كورونا، وهي الزيارة الأولى في التاريخ لحبر أعظم إلى العراق، هنالك من توقع أن يلغي البابا رحلته، وعدّها آخرون مخاطرة، بسبب تفشيّ الوباء، والتفجيرين الانتحارين في ساحة الطيران وسط بغداد في كانون الثاني من ذات العام، وسقوط قتلى خلال الاحتجاجات التي حصلت في محافظة ذي قار قبل الزيارة بأيام، ومما عقد الأمور أكثر الإعلان عن إصابة السفير البابوي في العراق، ميتجا ليسكوفار بفيروس كورونا، سيما وهو من الشخصيات المحورية في التحضير للزيارة على المستويات الدبلوماسية واللوجستية، ورغم كل هذه التحديات فان الزيارة استمرت وتمت في موعدها المحدد من 5 - 8 آذار من العام 2021.

ان بابا الفاتيكان ليس شخصية اعتبارية فقط، بل هو رئيس دولة، ونرى ان اهم ما يميز هذه الزيارة هو لقاءه بالمرجع الأعلى للطائفة الشيعية في العالم، لقاء الزعماء الكبار في الديانتين الإسلامية والمسيحية، ولما لهذا اللقاء من اثار مهمة على العلاقات بين معتنقي هاتين الديانتين المهمتين، انه لقاء المحبة لقاء القيم والتسامح لقاء الروحانيين.

وتأتي أهمية هذه الزيارة في ظل تطور وسائل التواصل التي جعلت من

العالم قرية صغيرة، وفي ظل تشابك مصالح المجتمع الإنساني، الذي أصبح كأهل مدينة واحدة، إذ يُفترض ان يكون هناك حوار ناجع بين أبناء هذا المجتمع، من اجل صلاحهم وتحقيق التعايش السلمي فيما بينهم وتذليل العقبات الناجمة عن اختلافهم دينيا او قوميا او فكريا او غير ذلك، وخصوصا الأديان السماوية، وبالتحديد الديانة الإسلامية والمسيحية، اللذين تربطهما مشتركات عليا مقدسة، بالإضافة الى تبني المثل والأخلاق، والدعوة الى حفظ إنسانية الانسان، وما يزيد من أهمية هذا الحوار هو التداخل بين المسلمين والمسيحيين في كثير من بقاع الأرض.

وما يؤكد أهمية هذه الزيارة ان البابا صرح في حديثه إلى الصحفيين على طائرة العودة إلى روما، إن البعض قد يتهمه "بالهرطقة" لأنه يلتقي مع زعماء العالم الإسلامي، كما انه أكد إن لقاءاته وزياراته إلى دول العالم والشخصيات المختلفة لا تأتي من أهواء شخصية، بل بعد صلاة وتفكير ونقاش.

منهاج زيارة البابا للعراق

استمرت الزيارة أربعة أيام، اذ وصل البابا للعراق في يوم الجمعة المصادف 2021/ 3/ 5، عبر مطار بغداد الدولي، وكان في استقباله رئيس مجلس الوزراء السيد (مصطفى الكاظمي)، وعقد حفل استقبال لنيافته في القصر الجمهوري ببغداد، ثم التقى بالسيد رئيس الجمهورية (برهم صالح)، والتقى بالمسؤولين وممثلي المجتمع المدني والهيئات الدبلوماسية في قاعة القصر الجمهوري، بعدها كانت كلمة للبابا، ثم انتقل الى كاتدرائية سيدة النجاة للسريان الكاثوليك في بغداد التقى فيها الأساقفة والكهنة والأشخاص المكرسين والخطباء والقي فيهم كلمة.

انتقل البابا يوم السبت المصادف 2021/ 3/ 6 بالطائرة الى النجف الاشرف لزيارة المرجع الأعلى سماحة السيد السيستاني، اذ استمرت الزيارة قرابة الخمسين دقيقة، أظهرت الصور والكلام الذي صرح به البابا بعد الزيارة تأثيره الكبير بشخصية المرجع الأعلى ودوره الكبير في حفظ حياة العراقيين وكرامتهم في هذا البلد الكبير، ولدى عودته على متن الطائرة الى إيطاليا صرح للصحفيين انه أعتقد أنها كانت رسالة عالمية، اذ شعر بواجب القيام بحج الإيمان هذا والتوبة، وأن يذهب للقاء رجل عظيم وحكيم، ورجل الله، واكد انه ومن خلال الاصغاء إلى سماحة المرجع فقط يمكنك أن تفهم ذلك، إنه شخص يتمتع بالحكمة والحصافة أيضًا. وذكر ان سماحة المرجع قال له: "منذ عشر سنوات لم يستقبل أشخاصًا يأتون لزيارته لأغراض سياسية وثقافية أخرى، وإنما فقط لأغراض دينية، وقال لقد كان محترمًا جدًا خلال اللقاء، ولقد شعر بالفخر، حتى في لحظة التحية، وكان مسرورا ان المرجع الذي لا يقف أبداً قد وقف مرتين ليلقي عليه التحية، واكد إنه رجل متواضع وحكيم، وان اللقاء قد أفاده، وقال إنه نور، وأشار ان هؤلاء الحكماء موجودون في كل مكان لأنّ حكمة الله قد انتشرت في جميع أنحاء العالم، وإنّ الشيء عينه يحدث مع القديسين وليس فقط أولئك الذين قد تمّ إعلان قداستهم، وهذا الأمر يحدث كل يوم، وهؤلاء هم الذين أدعوهم القديسين الذين يقيمون بقرننا، رجال ونساء يعيشون إيمانهم، مهما كان، بصدق. هؤلاء يعيشون القيم الانسانية والأخوة بصدق⁽¹⁾.

كما أصدر مكتب سماحة السيد المرجع بياناً وضح فيه ما دار خلال

(1) للاطلاع على كامل اللقاء الصحفي زيارة الموقع من خلال الرابط ادناه:

https://www.vatican.va/content/francesco/ar/speeches/2021/march/documents/papa-francesco_20210308_iraq-volo-ritorno.html

هذه الجلسة وان سماحته (دام ظلّه) التقى بالحبر الاعظم بابا الكنيسة الكاثوليكية ورئيس دولة الفاتيكان، ودار الحديث خلال اللقاء حول التحديات الكبيرة التي تواجهها الانسانية في هذا العصر ودور الايمان بالله تعالى وبرسالته والالتزام بالقيم الأخلاقية السامية في التغلب عليها. وتحدث سماحة السيد عما يعانيه الكثيرون في مختلف البلدان من الظلم والقهر والفقر والاضطهاد الديني والفكري وكبت الحريات الاساسية وغياب العدالة الاجتماعية، وخصوص ما يعاني منه العديد من شعوب منطقتنا من حروب وأعمال عنف وحصار اقتصادي وعمليات تهجير وغيرها، ولا سيما الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة.

كما أشار سماحته الى الدور الذي ينبغي أن تقوم به الزعامات الدينية والروحية الكبيرة في الحد من هذه المآسي، وما هو المؤمل منها من حث الأطراف المعنية - ولا سيما في القوى العظمى - على تغليب جانب العقل والحكمة ونبذ لغة الحرب، وعدم التوسع في رعاية مصالحهم الذاتية على حساب حقوق الشعوب في العيش بحرية وكرامة، كما أكد على أهمية تضافر الجهود لتثبيت قيم التآلف والتعايش السلمي والتضامن الانساني في كل المجتمعات، مبنياً على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين أتباع مختلف الاديان والاتجاهات الفكرية. ونوّه سماحته بمكانة العراق وتاريخه المجيد وبمحامد شعبه الكريم بمختلف انتماءاته، وأبدى أمله بأن يتجاوز محنته الراهنة في وقت غير بعيد. وأكد اهتمامه بأن يعيش المواطنون المسيحيون كسائر العراقيين في أمن وسلام وبكامل حقوقهم الدستورية، وأشار الى جانب من الدور الذي قامت به المرجعية الدينية في حمايتهم وسائر الذين نالهم الظلم والأذى في حوادث السنين الماضية، ولا سيما في المدة التي استولى فيها الارهابيون على مساحات شاسعة في عدة

محافظات عراقية، ومارسوا فيها أعمالاً إجرامية يندى لها الجبين. وتمنى سماحته للحبر الاعظم وأتباع الكنيسة الكاثوليكية ولعامة البشرية الخير والسعادة، وشكره على تجشمه عناء السفر الى النجف الأشرف للقيام بهذه الزيارة⁽¹⁾.

بعد انتهاء زيارة البابا لسماحة السيد غادر النجف الاشرف متوجها الى محافظة الناصرية ومنها الى مدينة اور التاريخية مسقط رأس النبي إبراهيم عليه السلام، حاجا اليها وفق التقليد المتبع، اذ عقد اجتماع حضره جمع من ممثلي الأديان والطوائف عند الزقورة ثم القى كلمة بهذه المناسبة، تطرق فيها الى ضرورة التوحد لأننا اخوة ونحن احفاد إبراهيم عليه السلام ولا بد ان نعمل سويا فنحن من يعمر هذه الأرض وان اديانا ستبقى ولا بد ان نحب بعضنا البعض، وان نتعايش سويةً، واكد انه من هذا المكان بدأ التوحيد.

وبعد انتهاء الاجتماع في الزقورة رجع البابا الى بغداد لإقامة قداس عصر يوم السبت في كاتدرائية القديس يوسف (مار يوسف) الكلدانية بحضور جمع من المؤمنين والقيادات الدينية للإخوة المسيحيين.

وتوجه يوم الاثنين المصادف 7/ 3/ 2021 من بغداد الى أربيل اذ كان في استقباله رئيس الإقليم، السيد نجيرفان بارزاني، وممثلي الديانات والمجتمع المدني في الإقليم، بعدها توجه بالطائرة المروحية الى الموصل، اذ استقبله أهالي الموصل القديمة ومن جميع المكونات بحفاوة كبيرة، اذ تم إقامة صلاة لضحايا الحرب في حوش البيعة (ساحة الكنيسة) في الموصل، والقى كلمة دعا فيها المسيحيين الى العودة الى الموصل ودعا الى العيش بسلام ووئام متجاوزين الانتماءات الدينية، واكد ان

(1) للاطلاع على البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني:

<https://www.sistani.org/arabic/statement/26506/>

الاخوة اقوى من الكراهية والعنف. ثم انتقل بالطائرة المروحية الى قرقوش والتقى باهلها في كنيسة الطاهرة الكبرى للسريان الكاثوليك، وأيضا القى كلمة في الكاتدرائية شكر فيها الذي منحه هذه الفرصة ليكون بين اهل قرقوش، مؤكدا شعور بالألم إزاء الدمار الذي حل بالمدينة، بعد ذلك انتقل الى أربيل لإقامة القداس الكبير في ملعب فرانسو حيرري بحضور قرابة عشرة الآف شخص، وبعد انتهاء القداس عاد الى بغداد حيث أقيم هنالك حفل توديع لنيافته وغادر الى روما.

حظيت هذه الزيارة باهتمام بالغ، وسلط عليها الضوء بشكل مركز من خلال استقصاء كل مفردات الزيارة بأدق التفاصيل من لحظة انطلاق قداسة البابا الى لحظة رجوعه الى اوربا، فقد تناولتها وسائل الاعلام المرئي والمسموع والمقروء بالتفصيل الدقيق كما أسلفنا.

ولكن في ذات الوقت تباينت وجهات النظر إزاء زيارة البابا، بين مرحب ومؤيد وعادا الزيارة حدثا تاريخيا مهماً، ينبغي الاستفادة منه ودراسته بعناية والتركيز على العبر والعصاة التي يمكن استخلاصها. وبين ساخط وناقم ومنتقد بأشد عبارات الانتقاد والتخوين وخصوصا أولئك المتشددين والمتطرفين من كل الأديان والطوائف، فكل منهم نظر من زاوية مصالحة الأيديولوجية والسياسية، فتكلموا في جدوى الزيارة وأهدافها القريبة والبعيدة وتوقيتها، وصاروا يطعنون ويسئون الظن بها، ويشككون في النوايا، ويلمزون بالسوء كل من أيد ورحب بالزيارة او كان له حضور او دور في اتمامها ويتهمونه بأبشع التهم واقساها، كالمطبعين والمبشرين بالمشروع الغربي والإسلام الأمريكي والتشيع البارد المحصور بالتفكير بمصالح الأوطان، كما اتهمها بعضهم بانها تمهيد لما يُعرف بالديانة الابراهيمية.

لماذا هذا الكتاب ؟

يأتي الكتاب، ضمن سلسلة من الدراسات والبحوث التي يوثقها مركز رواق بغداد - للسياسات العامة، من خلال الأحداث التي تشهدها الساحة السياسية عامّة، والعراقية خاصّة. ومن هذه الأحداث المهمة هي الذكرى السنوية الثانية لزيارة الحبر الأعظم البابا فرنسيس إلى العراق في الخامس من آذار - 2021 .

ينطوي الكتاب على دراسات وبحوث كتبها مختصون، ومراقبون مهتمون بهذه المناسبة التاريخية. ومنها بحث الدكتور عبد الأمير زاهد (قراءة نقدية تحليلية في مُخرجات زيارة البابا للعراق) وبحث الأستاذة سهى منعم جيجان الذي تناول (الدبلوماسية الدينية للسيد السيستاني). كما كتب الدكتور عبد العزيز ساشادينا الأستاذ في جامعة جورج ماسون، في مدينة فيرفاكس، ولاية فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بحثاً عن (تعزيز التعددية الدينية بين المسلمين).

ضم الكتاب لقاءً مع السيد جواد الخوئي الأمين العام لمؤسسة السيد الخوئي، للحديث عن دوره في إتمام تلك الزيارة. أمّا الصحفي الجزائريّ، المقيم في فرنسا، موسى أشرشور، فقد أعدّ تقريراً تحدث فيه عمّا أضافته زيارة البابا وماكرون للعراق، إلى مسار السّلام وحوار الأديان.

وختم الكتاب ببحث للأستاذ جواد علي كسار، وقد سلّط الضوء على أهم ما قبل، وكتب في الإعلام الإيراني عن الزيارة، عنوانه بـ (لقاء النجم الأشرف وتجليات المحنة في العقل الإيراني). ويُعدّ هذا البحث من القراءات الاستقصائية التي تكشف عن موقف بعض الفاعليات السياسية والاعلامية الإيرانية

الفهرست

المقدمة - العراق بلد الحضارات

3..... • عدنان عبد الحسين

منهج مرجعية النجف في بناء دولة دستورية

قراءة في زيارة البابا للعراق في آذار 2021

23..... • عبد الأمير كاظم زاهد

الدبلوماسية الدينية على يد السيستاني

49..... • سُهس مُنعم

تعزيز التعددية الدينية بين المسلمين

• د. عبد العزيز ساشادينا

71..... • ترجمة: مرتضى صلاح

زيارة البابا .. المقدمات والنتائج

101..... • حوار مع السيد جواد الخوئي

113..... ■ ملحق الصور الخاص بمقابلة السيد جواد الخوئي

116..... ■ ملحق الصور الخاص بـ: زيارة البابا فرانسيس إلى العراق

ماذا أضافت زيارة البابا وماكرون للعراق

إلى مسار السلام وحوار الأديان؟

129..... • إعداد: موسى أشرشور

لقاء النجف الأشرف وتجليات المحنة في العقل الإيراني

153..... • جواد علي كسار

